

محاضرات وندوات مصورة - الأردن - جامع التقوى - الحلقة ٠٢٨ : لا يوجد شر مطلق .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٧-٠٩-٢٠١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن حول الشهوات إلى جنات القربات .

تمهيد :

أيها الأخوة الكرام ؛ هناك آيات كريمة تُقرأ وتُفهم ، ولكن في ظروف معينة تفهم فهماً عميقاً ، فمن مسلمات الإيمان أن كل شيء وقع إرادته الله ، كل شيء وقع بالخمسة قارات ، ومن آدم إلى يوم القيامة إرادته الله ، لأنه لا يليق بالوهية الإله أن يقع في ملكه ما لا يريد ، لم يعد إله

فكل شيء وقع من آدم إلى يوم القيامة ، في كل مكان في الأرض إرادته الله ، لا تعني كلمه إرادته الله أنه أمر به ، ولا تعني كلمة إرادته الله أنه رضيه .
الشرح :



طبيب تزوج ، ومضى على زواجه عشر سنوات ، ولم ينجب ، ثم أنجب ولداً غاية في الجمال ، تعلق به تعلقاً مذهباً ، ثم اكتشف الأب الطبيب أن

ابنه معه التهاب في الزائدة الدودية فأراد يعني سمح ، لم يكن يتمنى ، ولم يكن يريد ، لكنه سمح أن يفتح بطن ابنه ، بعد أن يخدر تخديراً كاملاً ، وأن تجرى له عملية استئصال الزائدة . فكلما أراد لا تعني أنه أمر ، ولا تعني أنه رضي ، لكن تعني أنه سمح فقط ، وسمح لحكمة بالغة بالغة .

الآن الذي وقع إرادته الله ، لا يعني أنه أمر به ، حروب ، اغتصاب ، مشكلات ترونها وتسمعون بها ، لا تعني أنه أمر بها ، ولا تعني أنه رضيها ، ولكن تعني أنه سمح بها ، سمح بها لحكمة بالغة بالغة بالغة ، فالذي وقع لو لم يقع لكان نقصاً في حكمة الله ، والذي وقع لو لم يقع لكان الله ملوماً على ذلك .

أمثلة من واقع الحياة :

مثل بسيط :

طالب قال لأبيه ، طالب بعمر عشر سنوات ، قال لأبيه : لا أحب الدراسة قال له : دعها ، على أول كلمة ، هذا ترك الدراسة ، استيقظ الساعة العاشرة ، ما في دوام ، ولا في وظائف ، ولا في متاعب ، ولا في استاذ صعب ، نام للظهر ، قام أكل وراح على السينما ، توهم أنه أسعد طالب بالأرض ، بعد حين ، لا وظيفة ، ولا تجارة ، ولا بيت ، ولا زوجة ، ولا أولاد ، ورفاقه كلن بيوت وسيارات ، ومناصب رفيعة ، فجاء لأبيه وقال له : يا أبت لما قلت لك لا أحب الدراسة لم تم تضربين ، لم تضربين ضرباً مبرحاً ؟ اسمعوا الآية :

﴿ وَلَوْ أَنَّ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا ﴾

[سورة القصص الآية : ٤٧]

هنا الرسول المصيبة يعني

﴿ فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنزِّلَ وَنَخْزِي ﴾

[سورة طه الآية : ١٣٤]



معنى ذلك الذي وقع إرادته الله ، والذي إرادته الله وقع ، وإرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة والحكمة المطلقة متعلقة بالخير المطلق ، يعني بالكون شر مطلق ما في ، وإذا في شر مطلق الله موجود .

أنا أذكر قصة ، أحد أكبر الأطباء كان يحضر دروسي في الشام ، هو طبيب أشعة جاءه رجل مع زوجته ، قال له

هنا في آلام وفي التهابات بكتفه ، فأدخله إلى غرفة خاصة ، وفحص طلع لا في التهابات ، ولا في شيء خاص ، في سرطان ، فهو تدايق كثير لأنه سرطان الجلد أهون سرطان ، وشفاءه بالمئة خمسين كان ، أخذ الزوج جانباً ، قال له : أنت بحق زوجتك مجرم ، قال له : لماذا ؟ قال له : هذا سرطان بالجلد احتمال شفاءه بالمئة خمسين ، أين كنت أنت ؟ قال له : أنا كنت عند الطبيب

الفلاني سنتين ما قال لنا سرطان ، قال التهاب ، يبدو الطبيب ابتزه ، قال لي : مو طبيب ، طالب طب يعلم يقيناً أنه سرطان ، طالب طب ، فكيف طبيب ، يبدو أنه ابتزه سنتين ، كل أسبوعين في لقاء ، ومعاينة ، ودفع أتعاب ، إلى آخره .

قال لي هذا المريض ، هو من الريف ، من ريف الساحل ، قال لي : التحش على الأرض ، وانبطح وبحث ، وقال : يا رب إذا كنت موجود انتقم منه ، ربط الانتقام بوجود الله مو بوجود بعدالته ، أبلغ ، بجوده ، هذا الطبيب من كبار أطباء دمشق ، وكان يداوم عندي عقب صلاة الجمعة في جلسة كانت ، قال لي : والله بعد عشرة أشهر جاءني هذا الطبيب نفسه ، وقد أصيب بسرطان بالكتف .

أنا بقناعتي كل شيء يقع من هذا النوع ، لكن نحن جميعاً نعرف آخر فصل بالقصة .

ماشي مرة بالطريق ، خرج واحد من محله التجاري ، واعترضني بلطف ، ودعاني إلى فنجان قهوة في محله ، دخلت إلى عنده ، قال لي : أريد أن تقول لي ، في شخص محله بالسوق الفلاني ، تاني محل ، بياع أقمشة ، قال لي : سمع إطلاق رصاص بين متخاصمين ، مد رأسه تأتي طلقة في العمود الفقري يُشل فوراً ، قال لي : ما



ذنبه استاذ ؟ ماذا فعل ؟ أليس طلب العمل عبادة ؟ قلت له : طبعاً ، قال لي : ما ذنبه ؟ هذه القصة لم أفهمها أنا ، قلت له : أنا أعلم يقيناً أن الله عادل لكن أنا لا أدري ملابسات هذه القصة ، لا أعرف ، واعتذرت ، لأنه في ملاحظة دقيقة :



لن تستطيع أن تثبت عدل الله بعقلك ، إلا بحالة مستحيلة ، أن يكون لك علم كعلم الله ، هذه ليست موجودة ، أنا أستسلم ، بعد عشرين يوم عندي مدير معهد ، قال لي : لنا جار ساكن فوقنا بحي الميدان ، عنده محل تجاري يبيع أقمشة ، سمع إطلاق رصاص نفس القصة ، مد رأسه ، أتت رصاصة ،

أصيب بالشلل فوراً ، قال لي : هذا الإنسان له أخ توفي قبل عام ، وهذا الأخ عنده بيت وكل أخوه بمتابعة الأجرة ، فبعد ما توفي أخوه ، يعني أبو الأيتام ، مضى شهر ، اثنين ، عمو الأجرة ، لم يعطيهم إياها ، بعد اثني عشر شهر لم يعطيهم إياها ، فاضطروا أن يشكوه إلى علماء الشام إلى الشيخ حسين خطاب رحمه الله ، كان عالم كبير ، فاستدعاه ، قال له : لن أعطيهم هذا المبلغ ، هذا لي ، بهذه الوقاحة ، قام الشيخ انخرج ، قال لهم : يا ابني هذا بتم عمكم ، أن تشكوه إلى القضاء هذا لا يليق بكم ، اشكوه إلى الله ، ثاني يوم انشل .

كان لي درس ببطلع بإذاعة القدس ، يسمعه ١٢ مليون كل يوم ، فالدرس يذاع بحلب وحولها ١٨٠ كيلو متر ، وبدمشق ، ودرعا ، والسويداء ، والأردن ، وفلسطين ، هذا الدرس بقي ١٢ سنة ، فأنا حكيت القصة بدرس عام ، بالإذاعة حكيتها ، وإذ بحلب في واحد يستدعي المحامي أيضاً نفس القصة ، له أولاد أخ مات أبوهم ، وببيده أجرة بيت ، امتنع عن إعطاهم إياها ، عشر سنوات ، يعطي هذا الرجل للمحامي أمر بتحويل المبالغ كلها لأولاد أخيه الأيتام ، قال له : شو صار ؟ ما كان هذا موفقك ! قال له : والله سمعنا قصة بالإذاعة بتخوف .

الشر المطلق :

أخوانا الكرام ، كل شيء وقع بالخمس قارات ، أراده الله ، يعني سمح به ، لم يأمر ولم يرضى .

طبيب أنجب ولد ، تعلق به تعلقاً مذهلاً ، اكتشف الأب الطبيب أن ابنه معه التهاب الزائدة الدودية ، فسمح بفتح بطن ابنه بعد التخدير الشامل ، واستئصال الزائدة ، هذا معنى أراده الله فكل شيء وقع أراده الله ، وكل شيء أراده الله وقع ، معكوسة ، وإرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة فالذي وقع لو لم يقع لكان الله ملوماً ، والذي وقع لو لم



يقع لكان نقص في حكمة الله ، والإرادة المطلقة متعلقة بالخير المطلق ، ما ممكن أن تؤمن أن الله موجود وفي شر مطلق ، في شر موظف للخير ، ما معنى شر مطلق ؟ يعني شر من الشر ، ما معنى شر نسبي ، يعني شر موظف للخير فلذلك الله عز وجل يسوق لعباده بعض الشدائد كي ينقلهم من الغفلة إلى الصحو ، من التقلت إلى الاستقامة ، الآية تقول :

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَتَمَكَّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾

[سورة القصص الآية : ٤ - ٥ - ٦]



فلذلك كل شيء وقع إرادته الله ، بمعنى
 سمح به ، وكل شيء إرادته الله وقع
 معكوسة والإرادة الإلهية متعلقة
 بالحكمة المطلقة ، والحكمة المطلقة
 متعلقة بالخير المطلق ، شر مطلق ما
 في بالكون في شر موظف للخير ،
 الدليل :

﴿ وَنُنذِرُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

[سورة السجدة الآية : ٢١]

لا يمكن أن تفهم المصائب إلا بهذه الطريقة ، لذلك قال العلماء : المصائب أنواع كثيرة أعلاها مصائب الأنبياء ، مصائب كشف .

بيطلع النبي اللهم صل عليه ، مشياً على قدميه ، ٨٠ كيلومتر ، يصل إليهم ، يدعوهم إلى الله عز وجل ، يكذبوه ، ويسخروا منه ، ويغروا صبيانهم أن يضربوه ، ويسيل الدم من قدمه الشريفة ، يأتيه ملك الجبال ، يقول له : يا محمد أمرني ربي ، أن أكون طوع إرادتك ، لو شئت لأطبقت عليهم الأخشيين ، يقول هذا النبي العظيم : لا يا أخي اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون لعل الله يخرج من أصلابهم من يوحده .

دعا لهم ، وعفا عنهم ، وطلب من الله أن يكون من نسلهم أولاد صالحون ، هذه النبوة .

يا أيها الأخوة الكرام ؛ إذاً الإنسان لما
يوقع بإشكال بعدالة الله عز وجل في
مشكلة أسماء الله الحسنى في الدين كلها
محقة ، إلا اسم العدل محقق جزئياً ،
يعني الله عز وجل في الدنيا يعاقب
بعض المذنبين رداً للباقيين ، ويكافئ
بعض المحسنين تشجيعاً للباقيين ، أما
الحساب الختامي النهائي الحاسم
القطعي المنتهي يوم القيامة .



الله في الدنيا يكافئ بعض المحسنين تشجيعاً للباقيين

﴿ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾

[سورة آل عمران الآية : ١٨٥]

قال تعالى : وإن منكم إلا واردةا

لكن في آية عجيبة :

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾

[سورة مريم الآية : ٧١]



كل إنسان سيطلع على النار ليرى عدل الله المطلق

الهاء تعود على جهنم ، وإن منكم ،
نحن كم واحد هنا ؟ ما منا واحد في
هذا المسجد وفي كل المساجد ، في
عمان كلها ، وفي الأردن كلها ، في
العالم العربي كله ، والعالم الإسلامي
كله ، والعالم أجمع :

﴿ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾

العلماء قالوا : واردةا غير دخولها ،
في فرق كبير ، يعني أنت بالأردن مثلاً
في سجن حضاري ، وجاء وزير خارجية بريطاني ،
نالو سجين هذا زائر في فرق .

﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِبْنَا وَآرِدْهَا ﴾

ورود النار غير دخولها ، الله عز وجل يسمح لكل إنسان حتى المؤمن أن يطلع على النار ليرى عدل الله المطلق ، هؤلاء الطغاة الذين قتلوا وقتلوا ، ويظهروا على الشاشات بيتسمون قال كلهم مني ألف ، مرتاح ، بيتسم ، هؤلاء يجب أن يروا مصيرهم يوم القيامة .

﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِبْنَا وَآرِدْهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾

فورد النار زيارة من أجل أن تتحقق من اسم العدل بالكون ، في عدل مطلق تتحقق به حينما ترد النار وترى هؤلاء الطغاة أين مصيرهم .

قال تعالى : وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه ...

لذلك يقول الله عز وجل :

﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ ﴾

[سورة هود الآية : ١٢٣]

هذه ال الجنس ، يعني أي أمر على الإطلاق ، كله توكيد .

﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ﴾

هذا كلام خالق الأكوان .

﴿ فَاعْبُدْهُ ﴾

متى أمرك أن تعبده ؟ بعد أن طمأنك فقال لك :

﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ ﴾

﴿ عَلَيْهِ ﴾

الآن بل حرف اضطراب باللغة ، تنفي ما قبلها ، تثبت ما بعدها ، قال لك :

﴿ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾

[سورة الزمر الآية : ٦٦]

يعني أيها الإنسان مهمتك أن تعبد الله ، وأن تشكر في معنى ضمني بينهما ، إذا عبدت الله جاءك الخير ، إذا اشكر على هذا الخير .

﴿ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾

تنتهي مهمتك في أن تعبده ، وأن تشكره ، الآن :



﴿ قَالَ اهْبِطْ مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَمَّا يَا تَيْبُكُمْ مِنِّي هُدَىٰ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾

[سورة طه الآية : ١٢٣]

لا يضل عقله ، ولا تشقى نفسه ، آية ثانية :

﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

[سورة البقرة الآية : ٣٨]

اجمع الآيتين ، الذي يتبع هدى الله لا يضل عقله ، ولا تشقى نفسه ، ولا يندم على ما فات ، ولا يخشى مما هو آت ، ماذا بقي من السعادة ، لا يضل عقله ، ولا تشقى نفسه ، ولا يندم على ما فات ، ولا يخشى مما هو آت ، إنسان يقول له أنا بيئتي سيئة ، ماذا أفعل ، أنا بمحيط صعب ، أنا بآخر الزمان ، كل إنسان لما يغلط بعقله الباطن يتمنى أن يحيل الغلط إلى غيره ، أنا ما سمعت واحد رسب ، يا أخي ضربونا ، الأسئلة صعبة كثير كانت ، مو معقولة ، وإذا نجحت يقول أنا اجتهدت ما نمت الليل ، ليش بالنجاح ما نمت الليل ، و ليش بالرسوب ضربونا ، أليس كذلك ؟ فالإنسان يحب يعزو خطأه لغيره .



لذلك عنا كان دكتور بعلم النفس في الجامعة أحد خمس علماء بالعالم ، مرة قال لنا كلمة : إذا صح أن الإنسان ابن والديه ، في مورثات لأنه ، أو ابن بيئته ، أو ابن محيطه ، حكا شي ١٠ — ١٢ كلمة ، فالأصح من هذا كله أنه ابن نفسه ، مسؤول ، محاسب . وفي كلمة ثانية أعجبتني لأحد الأدباء المعاصرين توفي قبل حين ، قال : إن

القرار الذي يتخذه الإنسان في شأن نفسه ، وفي شأن مصيره قلما تتقده الأيام إذا كان صابراً حقاً عن قرار وإيمان ، يعني زوال الكون أهون على الله من أن تطلب شيئاً ولم تأخذه .

﴿ وَاتَّكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾

[سورة إبراهيم الآية : ٣٤]

ولكن الله عز وجل يشترط :

﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا ﴾

[سورة الإسراء الآية : ١٩]

ما قال وسعى لها فقط ، أنت أردت
الطب ، الطب له علامات خاصة ،
تأتي بالشهادة التوجيهية بعلامات معينة
تدخل طب .

﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ
مَشْكُورًا ﴾



أخوانا الكرام ، القضايا العقديّة مهمة جداً ، هذه تريح ، والإنسان ممكن أن يكون مثلث أول قسم
بالأعلى العقيدة ، إذا صحت صح السلوك ، وإن فسدت فسد السلوك ، يعني إذا الواحد فهم
الشفاعة فهم ساذج ضيق .

((شفاعتي لأهل الكباير من أمتي))

هو بائع أضاف إلى الحليب الماء معتمد على :

((شفاعتي لأهل الكباير من أمتي))



ثم يكتشف أنه في حساب دقيق جداً ،
أنا أول ما ألقى الدرس ، أقول : اللهم
إنا نعوذ بك من الجهل والوهم ، أنا
أقول لك كلمة : من لنا أعداء تقليديين ،
بقلك الاستعمار ، الصهيونية العالمية ،
الماسونية ، كلهم أعداء ، أنا قناعتي
العدو الوحيد هو الجهل ، لأن الجاهل
يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن
يفعله به .

فإذا أردت الدنيا فعليك بالعلم ، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم ، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم ،
والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك ، فإذا أعطيته بعضك لم يعطيك شيئاً ، ويظل المرء
عالمًا ما طلب العلم ، فإذا ظن أنه علم فقد جهل ، طالب العلم يؤثر الآخرة على الدنيا فيربحهما
معاً ، بينما الجاهل يؤثر الآخرة على الدنيا فيخسرهما معاً .

والحمد لله رب العالمين